فضلُ حُسْنِ الخُلُقِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، وسَلّم تسليماً كثيراً، أَمّا بعد:

عباد الله اتقوا الله وأحسنوا أخلاقكم كما أمركم رسولكم محمد ﷺ واعلموا أنه لا يُحصَى- من دخل في الإسلام بسبب خلق النبي الكريم عليه الصلاة والسلام سواء كان ذلك الخلق الحسن من: جوده أو كرمه، أو عفوه أو صفحه، أو حلمه أو أناته، أو رفقه أو صبره، أو تواضعه أو عدله، أو رحمته أو منّه، أو شجاعته وقوته..

وقد رغَّب النبي ﷺ في حسن الخلق في مجالات عديدة منها:

* الخلق الحسن في حياة المسلم عامة وفي حياة الدعاة إلى الله تعالى خاصة من أعظم روابط الإيمان وأعلى درجاته، لقوله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**»(١).

* والخلق الحسن ضرورة اجتماعية لجميع المجتمعات، وهو من أعظم المهمات التي تتعين على جميع الدعاة إلى الله تعالى؛ لأن من تخلّق به كان من أحب الناس إلى النبي ﷺ وأقربهم منه مجلساً يوم القيامة، قال ﷺ: «**إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً**»(٢).

* والخلق الحسن يجعل المسلم من أحسن الناس، ومن خيارهم مطلقاً، ولا يكون كذلك إلا بالتخلق بهذا الخلق العظيم، قال ﷺ: «**إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً**»(٣).

وقد أحسن الشاعر إذ يقول:

إنـــما الأمـــم الأخـــلاق مـــا بقيـــت فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

* والخلق الحسن من أعظم القربات وأجلّ العطايا والهبات، والداعية إلى الله تعالى هو من أحق الناس بهذا الخير العظيم؛ ليطبقه على نفسه، ويدعو الناس إليه؛ ليحصل على الثواب الجزيل، ولهذا قال ﷺ: «**ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن**»(٤)، وقال ﷺ: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»(٥)، وقال ﷺ لعبد الله بن عمرو: «**أربع إذا كن فيك فما عليك ما فاتك من الدنيا: حفظُ أمانةٍ، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة**»(٦)، وبهذا يحصل المسلم على جوامع الخيرات والبركات، قال ﷺ: «**البر حسن الخلق**»(٧).

---

(١) أخرجه الترمذي ٣/ ٤٣٧ برقم ١١٦٢، وأبو داود ٤/ ٢٢٠ برقم ٤٦٨٢، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ١/ ٣٤٠ .

(٢) أخرجه الترمذي ٤/ ٣٧٠ برقم ٢٠١٩، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ١٩٦ .

(٣) البخاري مع الفتح ١٠/ ٤٥٢، برقم ٦٠٢٩، ومسلم ٤/ ١٨١٠ برقم ٢٣٢١ .

(٤) أبو داود ٤/ ٢٥٣ برقم ٤٧٩٩، والترمذي ٤/ ٣٦٢، برقم ٢٠٠٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٣/ ٩١١ .

(٥) أبو داود ٤/ ٢٥٢ برقم ٤٧٩٨ وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٣/ ٩١١ .

(٦) أحمد في المسند بإسناد جيد ٢/ ١٧٧، وانظر: صحيح الجامع الصغير للألباني ١/ ٣٠١ برقم ٨٨٦ .

(٧) مسلم ٤/ ١٩٨٠ برقم ٢٥٥٣ .

* والخلق الحسن هو وصية رسول الله ﷺ إلى جميع المسلمين، وخاصة الدعاة، فقد أوصى به ﷺ معاذ بن جبل حينما بعثه إلى اليمن والياً، وقاضياً، وداعياً إلى الله فقال له: «.. **وخالق الناس بخلق حسن**»[1].

* والخلق الحسن ذو أهمية بالغة؛ لأن الله عز وجل أمر به نبيه الكريم، وأثنى عليه به، وعظم شأنه الرسول الأمين ﷺ . قال عز وجل: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[2]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[3]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنما بعثتُ لِأُتَمِّمَ مكارم الأخلاق**»[4]، وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ فقالت: «..**فإن خلق نبيكم ﷺ كان القرآن**»[5].

* والخلق الحسن من أعظم الأساليب التي تجذب الناس إلى الإسلام، والهداية، والاستقامة؛ ولهذا من تتبع سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام وجد أنه كان يلازم الخلق الحسن في سائر أحواله وخاصة في دعوته إلى الله تعالى، فأقبل الناس ودخلوا في دين الله أفواجاً بفضل الله تعالى ثم بفضل حسن خلقه ﷺ ، فكم دخل في الإسلام بسبب خلقه العظيم، فهذا يسلم ويقول: (والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليَّ)[6]، وذاك يقول: (اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً)[7]، تأثر بعفو النبي ﷺ ولم يتركه على تحجيره رحمة الله التي وسعت كل شيء، بل قال له ﷺ : «**لقد تحجرت واسعاً**»، والآخر يقول: (فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه)[8]، والرابع يقول: (يا قومي أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة)[9]، والخامس يقول: (والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليَّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ)[10]، والسادس يقول: بعد عفو النبي ﷺ عنه[11]: (جئتكم من عند خير الناس)، ثم يدعو قومه للإسلام فأسلم منهم خلق كثير[12]. وهناك أمثلة كثيرة جداً.

* والخلق الحسن هو أمنية كل مسلم وكل داعية مخلص خاصة؛ لأنه بذلك ينجو ويفوز وينجح في جميع أموره الخاصة والعامة؛ ولهذه الأهمية كان ﷺ يدعو ربه أن يهديه للخلق الحسن، فكان ﷺ أحياناً يقول في استفتاحه للصلاة: «**واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت**..»[13]، وكان يقول: «**اللهم كما أحسنت خَلْقي فحسِّن خُلُقي**»[14].

---

(١) الترمذي ٤/ ٣٥٥، برقم ٢٣٨٩، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ١٩١ .
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩ .
(٣) سورة القلم، الآية: ٤ .
(٤) البيهقي في السنن الكبرى بلفظه ١٠/ ١٩٢، وأحمد ٢/ ٣٨١، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٢/ ٦١٣، وانظر: الأحاديث الصحيحة للألباني ١/ ٧٥ برقم ٤٥ .
(٥) مسلم في صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض ١/ ٥١٣ برقم ٧٤٦.
(٦) البخاري مع الفتح ٨/ ٨٧، برقم ٤٣٧٢، ومسلم ٣/ ١٣٨٦ ، برقم ١٧٦٤ .
(٧) البخاري مع الفتح ١٠/ ٤٣٨ ، برقم ٦٠١٠ .
(٨) مسلم ١/ ٣٨١ ، برقم ٥٣٧ .
(٩) مسلم ٤/ ١٨٠٦ ، برقم ٢٣١٢ .
(١٠) مسلم ٤/ ١٨٠٦ ، برقم ٢٣١٣ .
(١١) البخاري، برقم ٢٩١٠، ومسلم، برقم ٨٤٣ .
(١٢) انظر: فتح الباري ٧/ ٤٢٨ .
(١٣) مسلم ١/ ٥٣٤ ، برقم ٧٧٠ .
(١٤) البيهقي وأحمد ٦/ ٦٨، وصححه الألباني في إرواء الغليل ١/ ١١٣ برقم ٧٤ .

* والخلق الحسن يُحبب صاحبه إلى الناس جميعاً حتى أعدائه، ويتمكن بذلك من إرضاء الناس على اختلاف طبقاتهم، وكل من جالسه أو خالطه أحبه، وبهذا يسهل على الداعية إدراك مطالبه السامية بإذن الله تعالى؛ لأن الدعاة إلى الله عز وجل لا يسعون الناس بأموالهم ولكن ببسط الوجه وحسن الخلق.

* وإن من لم يتخلق بالخلق الحسن من الدعاة ينفر الناس من دعوته، ولا يستفيدون من علمه وخبرته؛ لأن من طبائع الناس أنهم لا يقبلون ممن يستطيل عليهم أو يبدو منه احتقارهم، واستصغارهم، ولو كان ما يقوله حقاً. قال عز وجل للنبي الكريم ﷺ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]، وقال عز وجل مُمْتَنّاً على عباده: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ... ﴾[4] الآية، وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[5]، وقال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾[7]، ولا شك أنه يتعين على كل مسلم أن يتخذه عليه الصلاة والسلام قدوة وإماماً لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[8].

* وإن صلاح الأمة وهدايتها والنهوض بها لا يكون سليماً نقياً إلا بالأخذ من المنبع الصافي، والبعد عن الأفكار الهدامة المنحرفة، والتزام المسلمين بالخلق الحسن ودعوة الناس إليه هو من هذا المنبع، وتطبيق ذلك على أنفسهم، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[9]؛ ولهذا أمر الله بالعلم قبل العمل، وبالعمل قبل الدعوة إليه، فقال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ ﴾[10] الآية، وقال: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾[11] فقدم العمل قبل الدعوة إلى الحق.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩ .
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥ .
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٨ .
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤ .
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧ .
(٦) سورة الفتح، الآية: ٢٩ .
(٧) سورة الأحزاب، الآيات: ٤٥-٤٧ .
(٨) سورة الأحزاب، الآية: ٢١ .
(٩) سورة الصف، الآيتان: ٢، ٣.
(١٠) سورة محمد، الآية: ١٩.
(١١) سورة العصر.

* والخلق الحسن ف يجعل المسلم مستنير القلب، ويفتح مداركه، فيتبصر به مواطن الحق، ويهتدي به إلى الوسائل والأساليب الصحيحة في دعوة الناس الملائمة للظروف والأحوال، والأشخاص ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ... ﴾[1] الآية.

* والخلق الحسن من أعظم الأسباب التي تنجي من النار وتورث الفوز بأعلى الدرجات في جنات النعيم وهذا هو غاية كل مسلم بعد رضى الله عز وجل، ولهذا عندما سأل ﷺ رجلاً فقال له: «**ما تقول في الصلاة؟**» قال: أتشهّد ثم أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار. أما والله! ما أحسن دندنتك، ولا دندنة معاذ. فقال ﷺ «**حولها نُدَنْدِنُ**»[2]، وهذا يدل أن جميع الأقوال والدعوات والأعمال؛ إنما هو من أجل الفوز بالجنة والنجاة من النار بعد رضى الله عز وجل.

وقد تكفل ﷺ ببيت في أعْلى الجنة لمن حسَّن خلقه فقال: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسَّن خلقه**»[3].

* والخلق الحسن من أكثر الأعمال التي يدخل بها المسلم الجنة، فقد سُئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «**تقوى الله وحسن الخلق**»[4]، ويبين ﷺ : أن النار تحرم على كل قريب هَيِّنٍ سهل. فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**ألا أُخبركم بمن يحرم على النار – أو بمن تَحرُمُ عليه النار –؟! على كُلِّ قريبٍ هيِّنٍ لَيِّنٍ**»[5].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى للنبي ﷺ : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيْمٍ** ﴾ بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.

(٢) أبو داود، برقم ٧٩٢، وأحمد ٣/ ٤٧٤، وابن ماجه، برقم ٣٨٤٧، وانظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٢٨.

(٣) أبو داود، برقم ٤٨٠٠، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ٣/ ٩١١، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٧٣.

(٤) الترمذي ٤/ ٣٦٣ برقم ٢٠٠٥، وانظر: جامع الأصول ١١/ ٦٩٤ وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ٢/ ١٩٤.

(٥) الترمذي ٤/ ٦٥٤ برقم ٢٤٨٨، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢/ ٦١٠. وانظر: جامع الأصول ١١/ ٦٩٨.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

عباد الله! اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الخلق الحسن موضوع واسع جداً يشمل: الحلم، والأناة، والجود والكرم، والعفو والصفح، والرفق واللين، والصبر، والعزيمة، والثبات، والعدل والإنصاف، والصدق، والبرّ، والوفاء بالعهد، والإيثار، والرحمة، والعفة، والتواضع، والزهد، والكيس والنشاط، والسماحة، والمروءة، والشجاعة، والأمانة، والإخلاص... وهذا هو الخلق الحسن في دين الله تعالى، وما يتفرع منه.

أما الخلق العظيم الذي مدح الله به النبي ﷺ فهو الدين كله، والخلق الحسن جزء منه كما ذكر ابن تيمية رحمه الله تعالى في الفتاوى[1]، وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – في مدارج السالكين: (حسن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصور قيام ساقِه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل. ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة)[2].

وهذه الأخلاق الحسنة العظيمة قد عمل بها النبي ﷺ . فاجتهدوا في الاقتداء بالنبي ﷺ في أخلاقه تفوزوا بالسعادة في الدنيا والآخرة.

هذا وصلوا على خير خلق الله نبينا محمد بن عبد الله كما أمركم الله تعالى بذلك فقال: ﴿ **إِنَّ اللهَّ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[3]، وقال النبي ﷺ : «**مَن صلّى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً**»[4]، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه، وارضَ اللهم عن أصحابه: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين، وعَنّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، اللهم آمِنّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا، وجميع ولاة أمر المسلمين. اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات. اللهم اغفر لأمواتنا وأموات المسلمين، وأعذهم من عذاب القبر وعذاب النار، برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم إنا نسألك الهدى والتُّقى، والعفاف والغنى، اللهم اهدنا وسددنا، ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾[5]، عباد الله! ﴿ **إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[6]، فاذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿ **وَلَذِكْرُ اللهَّ أَكْبَرُ وَاللهَّ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾[7].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/ ٦٥٨.
(٢) مدارج السالكين ٢/ ٣٠٨.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦ .
(٤) مسلم، برقم ٣٨٤ .
(٥) سورة البقرة، الآية : ٢٠٢ .
(٦) سورة النحل : الآية : ٩٠ .
(٧) سورة العنكبوت: الآية : ٤٥.